Al-Mukhtar Journal of Educational Science 07 (1): 23-36, 2023
Doi:

Research Article **Open Access**

التّناصّ الدِّينيّ في شعر ابن الصّبّاغ الجُذاميّ (ت بعد 648ه)

مُنير سَعيد حَامد سَعيد

الباحث الاول[1]*: قسم الأدبيّات، كلّيـــة اللّغة العربيّة، جامعة محمّد بن علـــيّ السّنوسّي، ليبيا.

المستخلص: يهدف هذا البحثُ المعنون بـــ(**التّناصّ الدِّينيّ في شعر ابن الصّبّاغ الجُذاميّ** ت بعـــد 648ه) لدراسة ظاهرةٍ مهمّة من الظواهر الّتي تحدث بين النّصوص وهي ظاهرة التّناصّ، حيـــث سيُسلَّط البحث على النّصوص الإبداعيّة عند الشّاعر ابن الصّبّاغ الجـــذاميّ، وكيـــف تعامـــل مـــع النّصوص الدّينيّة السّابقة لهُ، وكيفَ أفادَ منها ووظّفها توظيفاً ملائماً لأغراضِه الشّعريّة، وأيضا كيف استَلْهَمَ أو استَحضرَ الألفاظَ والمعاني وأفادَ من استخدَاماتها ، ممّا يدلّ على الصّـــلة الوَثيقَـــة وقـــوّة الارتباط بينَه وبينَ المورُوث الدّينيّ.

الكلمات المفتاحية: التناص، الجذامي، الديني، الموروث، النصوص الدينية.

***Corresponding author:** Munir Said Hamed Saed ,Moner20022002@gmail.com Department of Literature, Faculty of Arabic Language, Mohammed Bin Ali Al-Senussi University, Libya.

Received:
25 May 2023

Accepted:
28 December 2023

Publish online:
31 December 2023

Religious Intertextuality in the Poetry of Ibn Al-Sabbagh Al-Judhami, After 648

Abstract: This paper, entitled " Al-Tanas, the in poetry of Ibn Alsabagh Al Jothamy, after 648 AH " aims at studying a significant phenomenon that occurs between texts. It is known as Al-Tanas, in which the research highlights the similarities between the religious texts and the eloquent texts of Ibn Alsabagh Al Jothamy pomes. The current paper also examines the way the poet dealt with the previous religious texts, and how he made use of them effectively as well appropriately for his artistic purposes. Additionally, this investigation shows how the researcher inspired or evoked words and meanings and benefited from their uses, demonstrating his strong association with the religious heritage.

Keywords: Religious, Intertextuality, Poetry of Ibn Al-Sabbagh, religious texts, religious heritage.

المقدمة: الحمد لله الّذي خلق السّموات والأرض وجعل الظّلمات والنّور، الحمد لله الّذي أنزل على عبده الكتـــاب ولـــم يجعل له عِوَجاً، والصّلاة والسّلام على أشرف الخلق وسيّد المرسلين، نبيّنا محمّد بن عبد الله وعلـــى آلـــه وصـــحبه أجمعين.

أمّـــــــــا بعـــــــــد...

فإنّ ظاهرة التّناصّ من الظّواهر الّتي تحدث بين النّصوص، وتقنية من تقنيات النّقد في العصر الحـــديث، مـــن خلالها يمكن الكشف عن كيفيّة تشكيل بنيتها السّطحيّة والعميقة.

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ،provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

ولعلّ من أهمّ المبادئ الّتي تقوم عليها تقنية التّناصّ، اعتبار أنّ النصّ الأدبيّ لا ينشأ من فراغ أو عدم، بقدر ما هو حصيلة لقراءات المبدع المتعدّدة لنصوص تفِدُ عليه من كلّ زمان ومكان، فيعمل بطريقة واعيةٍ أو لا واعيةٍ، قصديّةٍ أو غير قصديّةٍ، على تحويلها وفق آليّات مختلفة، ليشكّل من أديمها نصوصاً جديدة تحمل همومه وتطلّعاته، واهتمامه بالواقع الإنسانيّ، وتغلغله في أبعاده، ولا يكون هذا التّحويل للنّصوص السّابقة في مستوى إبداع راقٍ، إلا إذا جعل الأديب نصوصه الجديدة تُحيل في إلماع خاطف، وإيماء مضمر على النّصوص الغائبة، لتحفّز المتلقّي على خوض مغامرة البحث عنها ورصدها .

وقد احتلّت ظاهرة تداخل النّصوص مساحة واسعة في الدّراسات الأدبيّة الحديثة، ولعبت دوراً بارزاً في جعل العمليّة النّقديّة على قدر من التّنظير المنضبط ؛ وذلك لأنّنا يمكن أن نجد بعض ممارساته النّصية في النّقد العربيّ القديم في مجالات عديدة، مثل: السّرقة الشّعريّة، والمعارضات، والنّقائض، والاقتباس، والتّضمين، والتّلميح وغيرها.

والتّناصّ ظاهرة أدبيّة فرضت وجودها في ساحة النّقد، فهو تداخل النّصوص سابقها بلاحقها، ومظهر من مظاهر الإبداع الأدبيّ، بل أصبح ضوءاً كاشفاً يسلّط على النّصوص الإبداعيّة، ويسبر أغوارها، ويرصد مدى تعانقها فيما بينها.

ومن ثمّ أصبحت مهمّة الدّارس في حقل النّقد وفق نظريّة التّناصّ هي فكّ نسيج هذه البنية النّصيّة الجديدة، ومحاولة الرّجوع إلى مكوّناتها الأوّلى، لمعرفة الطّريقة الّتي من خلالها تتمّ عمليّة صياغة النّصّ.

ونحن في هذا المقام نقدّم دراسة نقديّة بعنوان **(التّناصّ الدِّينيّ في شعر ابن الصّبّاغ الجُذاميّ ت بعد 648ه)** وقد جعلنا هذا البحث في مقدّمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

فأمّا التّمهيد ففيه ترجمة موجزة للشّاعر، وبيّنا فيه المدلول اللُّغويّ لكلمة التّناصّ، ومفهوم التّناصّ في النّقد.

وأمّا المبحث الأوّل: فعُنِي بتناصّ الشّاعر مع القرآن الكريم .

بالنّسبة للمبحث الثّاني: فكان موضوعُه التّناصّ مع الحديث النّبويّ في شعر ابن الصّبّاغ الجذاميّ.

الخاتمة: وتشتمل على أهمّ النّتائج والتّوصيات.

أهداف وأهميّة الدّراسة :

يهدف البحث إلى إبراز جهود شاعرٍ مغمورٍ من الشّعراء الأندلسيّين، وعرض سيرةٍ مختصرة له تتضمّن شيئاً من أخبارِه وشِعره، مع التّركيز على بعض تناصّاته الدينيّة، وبذلك تتّضح أهمّية الدّراسة الّتي تحاول إلقاء الضّوء على جودة شِعرِه، وشيء من موروثه الثّقافيّ والدّينيّ.

المنهج المتّبع في إخراج البحث :

اعتمدتُ في هذا البحث على المنهج الاستقرائيّ، ثم استخدام المنهج التحليليّ لقضية نقديّة مهمّة استفاد فيها الشّاعر من كثرة علمه وسعة اطّلاعه، كما يقوم منهج البحث عن هذه القضيّة النّقديّة، مرتّبا حسب الدّراسة، ومتبعًا فيه الخطوات الآتية:

1. اعتمدتُ في كتابة الآيات المستشهد بها على رواية حفص عن عاصم، ونسخها في المتن بعدها اسم السّورة ورقم الآية.
2. جهود بعض النّقّاد في قضيّة التّناصّ حسب الترّتيب الزّمنيّ.

3. كتابة اسم المصدر في الحاشية ثم رقم الجزء والصّفحة، دون ذكر باقي البيانات لوجودها في قائمة المصادر والمراجع.
4. وضع هامش للفقرة الّتي لم تُنقَل حرفيّاً من غير أن توضع بين الأقواس، والاكتفاء بالتّهميش فقط، أمّا إذا نقل النّصّ حرفيًا من غير تصرّف فيوضع بين قوسين، ويكتب المصدر في الحاشية مباشرة.
5. إذا تكرّر المصدر في الصّفحة نفسها يذكر في المرّة الأولى باسمه ورقم الصّفحة، وفي الثّانية يكتب المصدر نفسه مع رقم الصّفحة.
6. إذا كان المصدر يتكوّن من جزء واحد فيكتب رقم الصّفحة مباشرة بعد اسم المصدر، وأمّا إذا كان المصدر أكثر من جزء فيكتب رقم الجزء والصّفحة والفصل بينهما بشرطة مائلة (/).
7. التّخريج من المعاجم بذكر اسم المادّة بدلًا من الصّفحة والجزء، وذلك لأنّ كلّ الطّبعات تتّفق في اسم المادّة ، وكذلك التّخريج من كتب المسائل برقم المسألة للسّبب نفسه.
8. كتابة الشّواهد الشّعرية بما ورد في الدّيوان ثم بما في كتب النّقد، والإشارة إلى رواية الدّيوان في الهامش إن اختلفت عن رواية النّقّاد.
9. نسبة الشّواهد الشّعريّة إلى قائليها، وتخريجها من الدّواوين، فإن لم يعرف لها قائل فتخرج بدون نسبة من كتب النّحو واللّغة والأدب.
10. ترك التّرجمة للأعلام من الأدباء والنّقّاد المشهورين، والاستغناء عنها اجتناباً للإطالة.
11. الاعتماد على الكتب الورقيّة المطبوعة، ثمّ الكتب الالكترونيّة الموافقة للمطبوع، ثمّ الكتب المصوّرة على أجهزة الحاسوب والموجودة على الإنترنت بنظام **(pdf)**.

الدّراسات السّابقة

إنّ هذه الدّراسة ليست الأولى من نوعها، بل هناك دراسات تعرّضت لهذا الموضوع، وكلّ واحدة حاولت استقصاء الجانب الّذي رأته مهمّا وبحاجة إلى دراسة وتمحيص، وهذه الدّراسة بدورها حاولت تسليط الضّوء على زاوية من تراث ابن الصّبّاغ الجُذاميّ ، حيث رأى الباحثُ أنّه بحاجة إلى سَبرٍ ومزيد استيضاح.

ومن الدّراسات الّتي تناولت الشّاعرَ وشِعرَهُ وأفاد منها البحث:

1. الاتجّاه الوجدانيّ في شعر ابن الصّبّاغ الجُذاميّ، دراسة تحليليّة نقديّة، عبدالمطلب عفاف عبد المنعم حسين.
2. التّشكيل الإيقاعيّ في موشّحات ابن الصّبّاغ الجُذاميّ، صفيّة قوريدة.
3. ابن الصّبّاغ الجُذاميّ ، الشّاعر المغمور، نور الهدى الكتّانيّ.
4. الخصائص الأسلوبيّة في موشّح(ألف المضني الشجونا) صفيّة قوريدة.
5. العتبات النّقديّة في شعر ابن الصّبّاغ الجذاميّ، نزار شكور شاكر، فائزة رضا شاهين.

التّمهيد

أصل كلمة التّناصّ:

أصل كلمة التّناصّ في اللّغة (نصص)، ولهذه الكلمة عدّة مدلولات في اللّغة، منها ما يفيد الرّفع والظّهور، فالنّص: رفعك الشّيء، ونصّ الحديث نصّاً: رفَعَهُ، وكلّ ما أُظهِر فقد نصّ، يقال نصّ الحديثَ إلى فلانٍ رفعَهُ، كذلك نصّصته إليه، ونصّت الظّبية جِيدَها: رفعتْهُ (ابن منظور، 1999: مادة نصص.).

وللنّصّ دلالة أُخرى وهي الحركة فيقال: حيةٌ نصناص: كثيرةُ الحركةِ ، والنّصنصة إثبات البعير ركبتيه في الأرض وتحرّكه إذا هم بالنّهوض، وهذا يُضيف إلى المعنيين السّابقين معنى الثّبات، ونصَّ المتاع جعل بعضَه على بعضٍ، وهذا يضيف إلى المعاني السّابقة معنى البناء، ونصَّ الدّابة ينصها نصّاً: رفعها في السّير، وهذا يضيف معنى القصديّة في توجيه الشّيء باتّجاهٍ مقصود، والنصُّ: التّحريك حتى تستخرج من النّاقة أقصى سيرها، وهذا يضيف معنى الحركة باتّجاه الغاية، ونصّ كلّ شيء منتهاه، وهذا يدلّ على معنى الوصول إلى الدّرجة القصوى من الكمال، وفي الحديث: أنّ النّبيّ– صلّى الله عليه وسلّم– حين دفع من عرفاتٍ، سار العنق فإذا وجد فجوة نصّ، أي رفَعَ ناقتَه في السّير. (ابن منظور، 1999: مادة نصص.).

يعدّ التّناصّ من الظّواهر الأدبيّة الّتي باتت تستخدم وبشدّة في النّصوص، وقد اختلفت الآراء حوله، فالبعض يراه فقراً من الكاتب، يدفع صاحبه إلى اللّجوء إلى نصّ كاتبٍ غيره، ويقتبس جزءاً منه مستخدماً إيّاه في نصّه، والبعض يرى أنه سرقة وتجرّؤ من الكاتب على نصّ غيره، فالنّسخ ولو جزئيّاً يتمّ دون علم صاحب النصّ المنسوخ منه، وما بين السّرقة والاقتباس مازال المفهوم يتأرجح.

كان التّناصّ معروفاً في الأدب العربيّ القديم، بمسميّات أخرى، حيث إنّ الشّعرية العربيّة القديمة فطنت لعلاقة النصّ بالنّصوص الأخرى منذ الجاهليّة، فالمقدّمة الطلليّة تعكس قراءة لعلاقة النّصوص ببعضها، والتّداخل فيما بينها، فالمقدّمة الطلليّة لها ذات التّقليد الشّعريّ من الوقوف على الأطلال والبكاء وذكر الدّمن منذ أوّل قائل لها، كما أشار إلى ذلك امرؤ القيس: (امرؤ القيس، 2004م: 200).

عُوجَا علَى الطَّلَلِ المُحيل لعلَّنا نَبْكِي الدِّيارَ كَمَا بَكَى ابْنُ حُذامِ.

ربّما فُهِمَ التّناصّ قديماً على أنّه سرقات أدبيّة، مما جعله مطعناً وضعفاً يؤخذ على الشّعراء، "ذلك أنّ الاتّهام بالسّرقة من المطاعن الّتي يسهل تناولها، فالعصر الجاهليّ الّذي عُرف بأصالة شعرائه واعتزازهم بشعرهم، قد عُرف عنهم مثل هذا الاتّفاق أو التّشابه عند بعضهم، مما أباح للنّقاد أن يتّهموهم بالأخذ والسّرقة" (مقداد، 1997: 118) ، ولكنّ البعض يعلّل هذا التّصرف في معاني السّابقين،" بسبقهم إلى المعاني، بحيث ضاق المجال أمام المحدثين، فلم يبق لهم خيار إلّا في مثل هذا الفعل (مقداد، 1997: 118)" ، كما قال عنترة: (عنترة بن شدّاد: 186)

هَلْ غَادَرَ الشُّعراءُ مِنْ مُتَردَّم أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بعْدَ تَوَهُّمِ

فالتّناصّ الأدبيّ هو تداخل نصوص أدبيّة مختارة قديمة أو حديثة شعراً أو نثراً، مع نصّ القصيدة الأصليّ، بحيث تكون منسجمة، وموظّفة، ودالّة قدر الإمكان على الفكرة الّتي يطرحها الشّاعر.

إذن مفهوم التّناصّ يدلّ على وجود نصّ أصليّ في مجال الأدب ، على علاقة بنصوص أخرى، وأنّ هذه النّصوص قد مارست تأثيراً مباشراً أو غير مباشر على النّصّ الأصليّ في وقت ما.

إن النّص لا يأخذ من نصوص سابقة فحسب؛ بل يأخذ ويعطي في آن واحد، وقد يمنح النّصوص القديمة تفسيرات جديدة أو يظهرها بحلّة جديدة كانت خافية، لم يكن من الممكن رؤيتها لولا التّناصّ، والتّناصّ إنتاج أفكار قديمة بأسلوب جديد، فهو ثمرة نصوص سابقة، ولكنّه ليس وحيد البنية أو فقير الدّلالات.

ولابدّ عند دراسة النّصّ من استخدام أدوات مختلفة، والتّناصّ واحد منها، لأنّ" توصّل الدّارس إلى معالجة التّناصّ الدّاخليّ، أي دراسة العلاقة بين المضامين المختلفة في النّصّ الواحد، يمكّنه من دراسة اتّصال هذا النّصّ بالذّات، أو تحدّده بأنظمة علامات أخرى قد تكون نصوصاً بدورها، أو غير ذلك من أنظمة العلامات" (شربل داغر، 1997: 132) ، وما يسمّى بالتّوظيف الأسطوريّ والتّراثيّ هو صورة من صور التّناصّ يتمّ من خلالها" توطيد الرّابطة بين الحاضر والتّراث عن طريق استلهام مواقفه الرّوحيّة والإنسانيّة في إبداعنا العصريّ، وخلق نوع من التّوازن التّاريخيّ بين الجذور الضّاربة في أعماق الماضي، والفروع النّاهضة على سطح الحاضر" (البياتي، 1981: 21)، وفي ظلّ المفاهيم النّقديّة الحديثة، فلا ضير على المبدع أن يستلهم من موروثه الثّقافيّ ما يرفد تجربته الإبداعيّة، لأنّ " أصالة الكاتب أو الشّاعر إنّما تلحظ في تجربته العامّة، وأفكاره الّتي يصوّرها في إطار تجربته العامّة، ولا ضير عليه بعد ذلك أن يستفيد من الميراث الأدبيّ القوميّ أو العالميّ في تصوير بعض مواقف قصّته، أو مسرحيّته، أو في بعض الصّور في قصيدته، شرط أن تتسلّل هذه الآراء والمواقف إلى ذلك العمل الأدبيّ عن طريق الهضم والتّمثيل، لا عن طريق النّقل والتّرقيع ". (مقداد، 1997: 141).

والقارئ يقبل على لغة أيّ نصّ بقلب يقظ، متوقّفاً عند لغته وصوره، واللّغة ليست مجرّد صوت وإيقاع، وإنمّا هي بنية لغويّة وصوتيّة وإيقاعيّة وتصويريّة، ذات دلالة تتوزّع في أساليب مجملة أو مفصّلة.

والقارئ المدقّق يمكنه معرفة لغة الشّعر الجاهليّ، فالأوزان الشّعريّة مرتبطة بأحوال النّفس ...والتّشكيل اللّغويّ يؤصّل لدلالته الّتي تظهر بأشكال إيقاعيّة متعدّدة للعناصر الفنيّة المتعدّدة، الّتي تدفع القارئ إلى اتّجاهين من القراءة : المستوى الظاهريّ المباشر، والمستوى الباطنيّ الخفيّ ... ولن تنكشف وظيفة أي مستوى إذا عجز القارئ عن فهم العناصر الفنيّة، والقيم الجماليّة التي يستند إليها النّصّ الشّعريّ.

ولعلّ مبدع النّصّ يلتقي بالقارئ مرّة بالحسّ والمشاعر، ومرّة بالوظيفة أو الهدف الّذي يقدّمه من خلال العناصر الفنيّة، في إطار منهج تكامليّ، يوفّق بين التّناغم العاطفيّ والفكريّ والمعرفيّ، فيما بينه وبين المتلقّي.

ترجمة ابن الصبّاغ الجذاميّ:

هو محمّد بن أحمد بن الصّبّاغ الجُذاميّ، شاعر أندلسيٌّ مغمور، يُنسب إلى جُذام بضمّ الجيم وفتح الذّال المُعجمة، وهم قبيلة من اليمن، عاش في الأندلس فترة من الزّمن، ثم غادرها ببعد احتلال النّصارى لبعض مُدنها، واستقرّ في المغرب حيث كانت مرّاكش في تلك الفترة هي الحاضنة الوحيدة الخاضعة لسُلطة الموحّدين.

عاش الجذاميّ فترة مهمّة في القرن السّابع الهجريّ، ففي تلك الحقبة رفع ديوانه الّذي نحن بصدد دراسته إلى الخليفة عمر المرتضى الممتدّة خلافته بين عامي 646ه _ 665ه .

والمطّلع على ديوان ابن الصّبّاغ الجذاميّ يتجلّى له سمات العالم الفقيه، المتمتّع بثقافة دينيّة واسعة، إذ إنّه شاعرٌ عُرف بتصوّفه وانعزاله، ويغلب على ديوانه الحجازيّات والمولديّات والزّهديّات والمدائح النبويّة، ويشير في شعره إلى القصص القرآنيّ تارة، ويذكر المعجزات النبويّة، وتارة يستحضر الأحاديث النبويّة، وكذلك يصف الأماكن والمشاعر

المقدّسة وصفاً دقيقاً، وشعره مملوءٌ أيضاً بالحكَمِ والمواعظ القيّمة، ومع ذلك لم يُغفل الأمثـال والصّـور الشّـعريّة الجميلة .

أمّا وفاته فإنّ المصادر تُشير إلى أنّه توفّي في خلافة عُمر المرتضى بين عامي 648ه/ 665ه . (اللجنـة المشـتركة لنشر التراث الإسلامي 1978م: 232–250)..

المبحث الأول : تناص ابن الصّبّاغ الجُذاميّ مع القرآن الكريم

يُقصدُ بالتّناصّ الدّينيّ أن تتداخل مع النّصّ الأصليّ للرّواية نصوص دينيّة أخرى مختارة من القرآن الكريم أو الحديث النّبويّ الشّريف أو الأخبار الدّينيّة بحيث تكُونُ منسجمة مع السّياق الرّوائيّ، وتؤدّي غرضاً فكريّاً أو فنّيّاً. (الزعبـي، 2000م: 37).

فبعد ظهور ظاهرة التّناصّ في العصْر الحَديث، تطوّرت هذه الظّاهرة تطوّراً ملحوظاً وأحْرزتْ منزلـةً رفيعـةً فـي الأدبِ المُعاصر، واستخدَمَها جُلّ الشّعراء، وأكثروا منها، وخصّصوا مساحات كبيرة من أشعارهم للتّناص الدّينيّ كـلّ حسَب ذَوقه وفكرتِه. (طهماسي، 2012م: 55.).

وظهَرَ التّـأثير القرآنـيّ منـذ صـدر الإسـلام، وأشـار ابـن رَشـيق القيروانـيّ إلـى ذلـك الأثـر – التّناصّ– في الشّعر المنسُوب إلى الإمام علىّ بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله: (علي بن أبي طالب، 1988: 89).

إذا كُنتُ بَوَّاباً عَلَى بَابِ جنّةٍ لقلْتُ لِهَمذَان ادْخُلُوا بِسَلام

وهذا التّأثير لم يكن بصورة لافتة للنّظر في ذلك العصر، لأنّه كانت علاقة قريبة بين القرآن والشّعر، كمـا ظهـرت ملامح هذا التّأثير بصورة جليّة في العصر الأمويّ وما بعده، فقد روى الثّعالبيّ أنه قد "أُتِـىَ للحجّـاج برجُـل مـن الخوارج وأمر بضرب عنُقه فقال: إن رأيتَ أن تؤخِّرني إلى غدٍ فافعل فقال:

عَسَى فَرَجٌ يَأْتِي بِهِ اللهُ إِنَّهُ لَهُ كُلّ يومٍ في خَلِيفَتِهِ أَمْرُ

فقال الحجّاج للرّجل : انتَزعَته من قوله تعالى ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ وأمر بتخليَـة سبيله (الصفار، 1992م: 39).

وظهر التّناصّ جليّاً في شعر العَصر العبّاسيّ، خاصة عند أبي العتاهية في قوله (القزويني: 359):

أَتَتْهُ الخِلافَةُ مُنْقَادَةً إِليـــــــــــــــــــــــــــه
تُجَـــــــــــــــرِّرُ أَذْيَالَهَـــــــا

فَلَمْ تَكُ تَصْلُحُ إِلاَّ لَهُ وَلَـــــم يَـــــكُ يصـــــــلحُ إلاَّ
لِهَـــــــــــــــــا

وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ لَزُلْزِلـــــــــــــــــتِ الأرضُ
زِلْزَالهـــــــــــــــــا

إنّ التّراث الدّينيّ في كلّ العصور يعدّ مصدراً سخيّاً من مصادر الإلهام الشّـعريّ، يسـتمدّ منـه الشّـعراء نمـاذجَ وموضوعاتٍ وصوراً أدبيّة، وتأثّر كثير من الشّعراء بالمصادر الدّينيّة الإسلاميّة، وفي مقدّمتها القرآن الكـريم، فقـد رأوا فيه المنبع الأصيل في إثراء تجاربهم الشّعريّة، وعدُّوه مصدراً هامّاً عكفوا عليه، واستحضروا منـه شخصـيّات تراثيّة، عبّروا من خلالها عن تجاربهم المُعاصرة، وعن مأساة الإنسان المُعاصر في القرن الّذي يعيشُ فيـه. (زايـد: 95، 96).

فالتّناصّ القرآنيّ " له هدف أدبيٌّ جماليٌ، حيث إنّ أسلوب القرآن هو الأسلوب الأمثل للّغة العربيّـة، واتّخـاذ بعـض صُوره وأساليبه نموذجاً يضاف للصّياغة الأدبيّة، ممّا يكسبها رونقاً وجمالاً، هذا فضلاً عن الهدف الدّينيّ الّذي يجعـل التّواصل بين القارئ والكاتب تواصلاً خلّاقاً لما يجمع بينهما من رصيد زاخرٍ بتقديس القرآن الكريم، والتأثّر بمعانيـه العظيمة" (الغباري، 2003م: 181).

ويعدّ توظيف النّصّوص الدّينيّة " من أنجح الوَسائل، وذلك لخاصّية جوهريّة في هذه النّصّوص تلتقي مع طبيعة الشّعر نفسه، وهي ممّا ينزع الذّهن البشريّ لحفظه ومداومة تَذَكُّرِه، فلا تكاد ذاكرة الإنسان في كلّ العصور تحـرص علـى الإمساك بنصّ إلا إذا كان دينيّاً" (فضل، 1993م: 4).

إنّ التّعامل مع النّصّ القرآنيّ يتّسم بالحذر ويحتاج إلى ثقافة عالية، الأمر الّذي جعل الشّعراء ينظرون كثيراً ويحلّلـون تناصّاته القرآنيّة الّتي لم تتجاوز عندهم في الغالب حدود الاجترار والامتصاص للصّور القرآنيّة، فلقد " أعطى القـرآن الكريم الحرّية في التّأمّل الجماليّ والكتابة، ودعا إلى الاغتراف من منهله العذب" (مباركي، 2003م: 167).

وقد عرف العرب القدماء النّصّ وأدركوا دوره، وفي الأدب العربي إشارات عديدة ترشدنا إلى ما يؤكد أن الـنّصّ غير متناهٍ في الإنتاج والحركة، وقابل لكلّ زمان ومكان، لأنّ فاعليّته متولّدة من ذاتيّته النّصّية، وأشارت كتـب الأدب العربيّ إلى ممارسات نصيّة عديدة بخصائص ومميّزات تختلف بين العُصور الأدبيّة، ولكن " لم يعرف العـرب فـي تاريخهم ممارسة نصيّة كما عرفوها مع القرآن، ولعلّ أولى مظاهر هذه الممارسة... تكمن في الوقوف على الـنّصّ في ذاتيّته " (عيّاشي: 202).

فذاتية النّصّ تجلّيها قراءة للمكتُوب تجعل النّصّ كلاماً يقوم بنفسه إزاء كلام آخر يظهر عبر إنجاز لغـويّ مُختلـف. (عيّاشي: 202).

النّصّ القرآنيّ يتّسم بكل سمات النّصّ الأدبيّ العالي لغةً وتركيباً، وله مميّزات تميّزه عن غيره من النّصوص، فـإنّ:" الله هو الّذي أوحاه، ونقله إلى النّبيّ ملاكٌ، وبلّغه النّبيّ إلى النّاس، ودوّنه كتّاب الوحي، إنّه عملٌ إلهـيّ – إنسـانيّ– عمل كونيّ، وهو يتجاوز الشّخص بوصفه كذلك محيط بلا نهاية للمتخيّل الجمعيّ، وربّما كان أعقد ما فيـه بوصـفه كتابة، خلافاً لما يبدو ظاهريّاً هو أنّه متابعة لما قبله وتكملة؛ إنّه خاتمة النّبوّات وخاتمة الكتابة، إنّه بمعنى مـا أنهـى الكتابة، ذلك أنّه لم يكتب الأثر الّذي يولّده الشّيء، وفقاً لتعبير مُريدِيه، وإنّما كتب الشّيء ذاته، لهذا لا يطـرح الـنّصّ القرآنيّ مسألة ما الشّعر، أو ما النّثر وإنّما يطرح السّؤال ما الكتابة، وما الكتاب؟ هكذا يقرأ النّصّ القرآنـيّ بوصـفه

نصّاً يجمع في بنيته أشكال الكتابة جميعاً، كأنّه أعاد الأبجديّة إلى فطرتها، قبل الكتابة، وفيما وراء الأنـواع الكتابيّـة ولغته ليست مجرّد مفردات وتراكيب، وإنّما تحمل رؤيا معيّنة للإنسان والحياة وللكون أصلاً وغيباً ومآلاً " (أدونـيس: 34).

وهناك أصول ثابتة متّفق عليها عند التّعامل مع النّصوص القرآنيّة، لا بدّ من الإشارة إليها ووضع أُطُر محـدّدة لهـا، منها:

1. الحذر من إرادة التحدّي لنصّ القرآن الكريم.
2. الحرص على نسبة القرآن إلى الله تعالى، والإيمان بذلك إيماناً لا يتخلّله شكّ.
3. الحذر من الاستخفاف والاستهزاء والسّياق الهزليّ عند استخدام الآيات.
4. الاحتفاظ بالقرآن الكريم مكانته وكرامته، واجتناب السّباب وبذّة الكلام وما شاكله.
5. عدم استخدام النّصّ القرآنيّ لغاية تخالف معناه السّامي.
6. أن يعدّ الاقتباس ضرورة فنيّة يزداد الشّعر بها جمالاً ورونقاً.
7. ألاّ يأتيَ التّناصّ في إطار يصادم عقيدة المتلقّي الدّينيّة.
8. رعاية الاحترام والتّقدير لكلام الله تعالى واستلهام القرآن في الموافقة والتّأييد، وعدم اللّجوء إلـى الاقتبـاس فـي مواقف توحي بالامتهان أو السّخرية أو التّمرّد. (طهماسي، 2012م: 55).

ومن هذا المنطلق فقد أثرى التّناصّ الدّينيّ أفكار كثير من الشّعراء، وعمّق رؤيتهم للأحداث، وأسْهَم في تشكيل البناء الفنيّ لديهم، واهتمّ الشّعراء كثيراً " بأسلُوب القرآن الكريم، واستخْدمُوا ألفاظه وتراكيبَه، وليس ذلك غريباً، فالقُرآن هو قيمة البيان العربيّ، وهو أسمى ما يُحتذي من النّماذج أسلوباً وفكراً وهدايةً، لأنه النّصّ الّذي أعجز الإنس والجـنّ أن يأتوا بمثله" (عبد الدايم، 2002م: 67).

ومن بين هؤلاء ابن الصّبّاغ الجذاميّ، حيث وتشكّل ظاهرة التّداخل النّصيّ أو استدعاء النّصّ الغائب ملمحـاً أسـلوبياً خاصّاً في خطابه الشّعريّ، يميّز لغة القصيدة وبناءها لديه، فظهر تعالق نصوصه مع كثير من الآيات القرآنيّة ، ومن تناصّه مع القُرآن قوله: (ابن الصباغ الجذامي، 2003م: 159)

نَبا خَاطري عن وَصْل سُعدى وزَينب لأنّي قد نبِّئت من سَبأ نبا

ففي الشّطر الثّاني من هذا البيت يتناصّ الشّاعر مع قول الله تعالى : (**فَمَكُث غَيرَ بَعيدٍ فقَالَ أَحَطْتُ بِما لَمْ تُحطْ بـه وجئتُكَ مِن سَبَأٍ بنَبَأ يَقين**).(سورة النمل ،22)

ويستعين الجُذاميّ بالآيات القرآنيّة ويبثّها في شرايين نصّه في موضع آخر، يقول:

واحَسْرتَا لشَباب عُمْرٍ قَد مَضَى زرَّت علَيه للْقُلُوب جُيُوبُ

تالله أدَّت دمـــــــــوعـــــــــيَ حَقّـــــــــــــــــــــــــهُ لـــــــــــوْ أنّني في حُزْنـــــــــهِ يَعْقُوبُ

حيث نراهُ يتداخل من النّصّ القُرآنيّ الوارد في سورة سيّدنا يوسف عليه السّلام، حين حَزن سيّدنا يعقُوب على ابنـه يُوسُف عليهما السّلام، فقال إخوة يوسُف لأبيهم: **(تَالله تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضَاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِيَ إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ الله مَا لاَ تَعْلَمُونَ)** (يوسف 85-86).

ويَسْتحضرُ من القرآن آية أخرى أكْسَبت شعرَه تَصويراً صادقاً، وأبعاداً دلاليّةً تعكس الموقف المُعاصر، وظّف فيها التّناصّ كأداة من أدوات تشكيل الرّؤيا الشّعريّة، يقُول: (ابن الصباغ الجذامي، 2003م: 111).

فَالأوّلُ الصدِّيقُ أَوّلُ مَاجِدٍ أَسْدَى النَّوالَ وآثرَ الإيْثَارَا

لمّا تَخلَّلَ في العَبَاءةِ مُؤثِراً لِلْبَذْلِ فَاقَ ببرِّه الأبْرَارَا

هُوَ صَاحبُ المُخْتَارِ في أزمانه ثَانيه يَومَ ثَوَى فَحَلَّ الغَارَا

استحضرَ في الأبيات السابقة قوله تعالى: **(إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا)** (التوبة، 41)

ويتداخل ابن الصبّاغ مع نصّ قرآني آخر في قوله: (ابن الصباغ الجذامي، 2003م: 184)

فِيهِ تطلّعَ نورُ بَدرِ هدايةٍ عَلَى ما أجلَّ سَنَا عُلاهُ وأَخْطَرَا

نورٌ قَضَى رَبُّ الْوَرَى تَتْميمَهُ حَتْمَاً عَلَى رَغْمِ الْعُدَاةِ وَقَدّرا

فيتداخل مع قوله تعالى: (**قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ**) (المائدة،17)، مع تعديلات يجُريها على بنية النّصّ، لبيان فضل الرّسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم على البشريّة جمعاء.

وتقترب الصّياغة الشّعريّة عند الجُذاميّ في قوله: (ابن الصباغ الجذامي، 2003م: 185)

شَرَفٌ لِأَحْمَدَ قَدْ أَتَى تَعْظِيمُهُ بِالنَّصِّ في آي الْكِتَابِ مُسَطّرا

مع الآية القرآنيّة الّتي جاء فيها ذكر اسم الرّسول صلّى الله عليه وسلّم تشريفاً لهُ وبياناً لفضله ومكانتِه عند ربّه جلّ في عُلاه في قوله تعالى: (**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**) (الفتح، 29) .

ويمتصُّ في بيتٍ آخر النّصَّ الغائب، ثمّ يوظّفه ليلِجَ إلى المعنى المقصُود من استدعائه، وهو أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم هو الشّاهد على أمّته، والمبشّر للمُؤمنين منهُم، والمشفّع والمُنذر للمُذنبين والمقصّرين: يقول: (ابن الصباغ الجذامي، 2003م: 185)

لِلْخَلْقِ أُرْسِلَ شَاهِداً ومُبشّراً ومُشَفَّعاً في المُذْنبينَ ومُنذِرا

حيث يتناصّ مع قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً**) ، (الأحزاب، 46/45).

ويظهر الاقتباس القرآنيّ واضحاً من قوله تعالى: (**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد اللهُ الصَّمَدُ**)، (الإخلاص 2/1)، حين اقتبس الأسماء الحُسنى في الآية الكريمة ووظّفها في دُعائه رَاجياً عفوَ ربّه الكَريم، في البيت الشّعريّ: (ابن الصباغ الجذامي، 2003م: 193)

يَا وَاحِداً صَمَداً قَديماً لمْ يَزلْ بِالْعَفو عَن زَلاّتنَا مَعرُوفَا

إنّ الجُذاميّ من الشّعراء المميّزين الّذين أحسنوا التّفاعل مع القُرآن الكريم، فالمُلاحظ عليه أنّه لا يقتبس من القرآن لأجل الاقتباس فقَط، بل لما ينطَوي على الاقتبَاسُ من عِبرٍ تَهدي إلى الْخَير في الحياة الدّنيا وفي الآخرة، ومن ذلك قوله: (ابن الصباغ الجذامي، 2003م: 197)

يوَمَ يجُزى النَّاسُ مَا قَدْ عَمِلُوا يَشْهَدُ الفَضْلُ لهُ في المَشْهدِ

تداخل في البيت السّابق مع قوله الله جلّ وعلا : **(يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ)** (آل عمران، 29).

من خلال دراستنا للتّداخل بين شعر ابن الصّبّاغ الجُذاميّ والقُرآن الكريم، يمكننا أن نستخلص أنّ الشّاعر كان لهُ حُضورٌ لا يخفى على الدّارس الحَصيف، وهو حُضُور يكشفُ لنا عن بَعض مَكَامن ومَنابع الشّاعر الّتي اتّخذت من القرآن الكريم رافداً مهمّاً من مجموع رَوافد رفَدَ بها شعره، وقد أعاد بعض النّصوّص القرآنيّة وفْقَ مستوياتٍ تناصّيّة مختلفة، تراوَحَت بين الامْتصاصِ والاجْترار، وكذلك الحذْف والزّيادة والتّحوير، والمقابلة بين موقفين أو حَالتين.

تناص ابن الصّبّاغ الجُذاميّ مع الحديث النبويّ الشريف

الحديث النّبويّ الشّريف: هو كلّ ما ورد عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خَلقيّة أو خُلُقية، وهو المصدرُ الثّاني من مصادر التّشريع الإسلاميّ بعد القرآن الكريم، فكما تأثّر المُسلمون بكلام الله تعالى وظَهَر في كلامهم وأشعَارهم، تأثّروا كذلكَ بالحديث النّبويّ الشّريف، وحظيَ عندَهم بمكَانة رَفيعة، فاهتمّوا بروايته، وتدوينِه، والتّدقيق فيه، لتنقيته ممّا ليسَ منه، حتّى شاع على الألسُن وصارَ مُتداولاً بين النّاس، فاقتبَس منه الشّعراء واستَقَوا منه على مرّ العُصور، فهو ليسَ مجرّد كلامٍ بل هو كَلامُ أفصح العَرب ومن أُوتي جوامع الكَلِم. (رضا علي، **1432**: 121).

ويُعد الحديث النّبويّ الشّريف العامل الثّاني الّذي اعتمد عليه الجُذاميّ بعد القرآن الكريم إذ شكّل الحديثُ النّبويّ الشّريف في شعره مادةً خصبةً، ومصدراً من مصادر تجربتهِ الشّعريّة، فأخذ ينهلُ من منابعِه، ويمتاحُ من غَوره شيئاً وافراً، مُستحضراً ألفاظه وتراكيبَه ودلالتَه، موظّفاً أسلُوبه توظيفاً منتجاً ومتداخلاً مع النّصّ الشّعريّ للتّعبير عن قضاياه ومواقفهِ والفكريّة، ويزخَرُ شعره ببعض القيم والمُثل والفضائل الّتي استقاها من أحاديث النّبيّ وأقوالـه–عليه الصّلاة والسّلام – وبثّها في شعره ليقتبس شيئاً من نوره – صلّى الله عليه وسلّم – فهو الموصوف بقوله تعالى: **{وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى }** (سورة النجم 3/ 4.)

فلقد تجلّت " روعة البيان في كلام النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وتوفّرت فيه الأسسُ والمقوّمات الّتي تميّزه بخصائص سامية، وسِمات فَريدة، يُدركها الفُصحاء ويعيها ذوو الفكر والذوّق الرّفيع، ويقفون على كثير من الأساليب والتّعبيرات النّبويّة بشيء من التدبّر الملحُوظ والتعمّق الكثير، ليستخلصوا معاني الحكمة الصّائبة، والآداب البارعة الّتي تصقل زين العُقول، وتشحذ السّرائر بالقيم الرّوحية، وتسلّط عليها إشراقة اليَقين، فيزول عنها كل وهم يخيّم على النّفوس، وتدفع عنها غائلة الهوى، وتحبط كل نزوة تنزع إليها النّفس البشريّة فيما حرّم الله تعالى " (السيد حسن، 1988م: 9). والرّسول صلّى الله عليه وسلّم، كان " مدده القرآن، الّذي أعجز الأولين والآخرين، وأداته البيان النّاصع، والبلاغة الآسرة، في مجتمع عُرف بالفَصَاحة، وتزيّن بالشّعر، وتجمّل بالبيان، فكان محمّد صلّى الله عليه وسلّم سيّد ذلك

المجتمع أدباً وفضلاً قبل المَبعَث، وفصاحةً وبياناً وإلهاماً، بعد نزول الوحي والتّكليف بأمانة الدّعوة وحمل الرّسالة " (الشكعة: 7).

والجُذاميّ كغيره من شعراء الأمّة الإسلاميّة، معجبٌ بالرّسول صلّى الله عليه وسلّم، ومعجبٌ بفصاحته، اقتبسَ من كلامه عليه الصّلاة والسّلام، وزيّن به شعره، واستحْضَرَ في شعره الكَثير من أحاديثه، حيثُ أكسبت خطابه الشّعريّ إضاءةً ولوناً من التّعالي والسّمو، ومنحته قدراتٍ إضافيّةً وفاعليّة في التّعامل.

من ذلك قوله في مدح سيِّدنا عمر الفاروق –رضي الله عنه–: (الجذامي، 2003: 112، 113).

عدّدْ عَلَى الفَارُوق واذكُرْ فضلَه فبِهِ مَنـــــــارُ هُدى الأَنامِ أَنَارا

للْحَقِّ جرَّد صَارِماً يَفْري الطُّلَى فاسْتفتحَ الأَقْطَارَ والأَمْصَارا

وهْوَ المُحَدَّثُ بالغُيُوبِ وقلبُـــــــــــــــــــهُ قـــــــــــــد أَودَعَ اللهُ بـــــــــــــــه أَسْـــــــــــــــرارا

في هذه الأبيات يستحضرُ ابن الصّبّاغ الجُذاميّ حديث النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– الّذي رواه أبـو هريـرة – رضي الله عنه– حين قال : (**لقَدْ كَانَ فيمَا قَبلَكُم من الأُمَمِ مُحدّثُون، فإن يكُنْ في أُمَّتى منْهُمْ أَحدٌ فَعُمِر**) (البخـاري، 1314: 5/ 12).

ويقول في موضع آخر مستلهماً أحاديث رسول الله – عليه الصّلاة والسّلام –، ومتخذاً سنّته منهجاً يسير عليـه فـي حياته: (الجذامي، 2003: 113).

أَصْحَابُ أَحمدَ كَالنُّجومِ لمِهْتدٍ يُهدَى بِنُورِ هُداهمُ مَنْ حَارا

ففي هذا البيت تناصّ مع الحديث المرويّ عن النبي صلّى الله عليه وسلّم ، (**أَصْحَابي كَالنُّجُومِ، بِأَيِّهِمُ اقْتَـديتُمُ اهْتَدَيْتُم**) (الشوكاني: 188).

وفي قصيدة أخرى يقول عن هذا المعنى ويستحضر نفس هذا الحديث أيضاً : (الجذامي، 2003: 200).

لِصحابـــــــــــــةِ النبيِّ أُثـــرةٌ ورِثُوها عن جَلال المُحْتـــدِ

فهم كالزَّهرِ يُقتَدى بهم فاقْفُ أنوارَ الشُموسِ تهتَدي

وعند مدح النّبيّ الكريم يستحضرُ الشّاعرُ مُعجزةً من مُعجزاته صلّى الله عليه وسلّم، حيث إنّـه قَـبضَ علـى حَصَيَاتٍ فسبَّحْنَ في يَده الشَّريفة حتَّى سُمعَ لهنَّ حَنينٌ كَحَنين النّخْل، فلمّا وَضَعَهُنَّ علَـى الأرضِ خرسْـنَ (البيهقـي، 2003: 696/1)، يقول: (الجذامي، 2003: 123).

وقُومُوا لَدَى ذِكْرِ النّبيّ تَواضُعاً فَفِي كَفِّه الْحَصْبَاءُ أَضْحَتْ تُسبِّحُ

والشّاعر يستفيد من المضامين الإسلاميّة، ونصوصها المكتنِزةَ بوهج الدلالةِ، الّتي تنفتح على عوالم واسعةٍ، فهذه اللمضامين تُكسب شعره علاقات متينةً، وتمده بقيم جماليّةٍ وشعوريّة عدةٍ، يقول في وصف مشهدٍ مـن مشـاهِد يـوم القيامة: (الجذامي، 2003: 123).

نبيٌّ لواءُ الحَمدِ في الحَشرِ ظلُّه وكلُّ نبيٍّ تحتَهُ ليسَ يبرحُ

مستشهداً بذلك ومستدعياً قوله صلّى الله عليه وسلّم حين قال في الحديث: (أنا سَيِّدُ وَلَد آدمَ ولا فَخْرَ، وبِيَدي لِـواءُ الْحَمدِ ولاَ فَخْرَ، وَمَا منْ نبيٍّ يَوْمئذٍ آدَمَ فمَنْ سِواهُ إلاَّ تَحْتَ لِوَائي) (الترمذي، 1975: 5/ 247).

ويتناصّ الشّاعر مع موقفٍ عظيم من مواقف هذا الْيوم وهَوله، حيث يصفُ خوف النّاس وذهولهَم في هـذا اليـوم، وكيف يلجؤون إلى الأنبياء لطلب شفاعتهم، يقول: (الجذامي، 2003: 197).

إذْ يُرى كُلّ نبيٍّ خَائفَاً يَسْأَلُ الرَّحمَنَ أَخْذَاً بِالْيَد
وَرَسُولُ اللهِ مَعْ أُمَّتِهِ دَافعَاً عَنْهُمْ عَظيمَ الْكَمَدِ
تَارَةً عندَ الصِّرَاطِ وَاقفاً وَلَدَى ميزَانهم بالمرْصَدِ

و يستحضرُ حديث النّبي صلّى الله عليه وسلّم، في الشّفاعة فالنّاس يذهبون إلى الأنبياء يستشفعون بهم وكلّ منهم يحيلُهم إلى آخر، حتّى يصِلُوا إلى عيسى عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ فيُشير إلى النّبي صلّى الله عليه وسلّم، فيقول أنا لها أنـا لها. (مسلم: 65/5).

وللشّاعر مواضعُ عديدة في شعره استدعى فيها أحاديث بنبيّنا الكريم عن الْحَوض وورُوده وكيفَ يشربُ منـهُ أُناسٌ لا يَظمؤون بعد هذه الشَّربة أبدا. (مسلم: 4/ 94)، فقالَ في أحدها : (الجذامي، 2003: 197).

وكَذَاكَ الْحَوضُ يَسْقِيهم بهِ مِن كُؤُوسٍ قَدْ صَفَتْ في الْمَوردِ

وقال في موضع آخر: (الجذامي، 2003: 209).

هُوَ سَيِّدُ الخَلْقِ الكَريمُ ومَنْ لَهُ الحَوضُ المْسُوغُ واللِّوا المَرفُوعُ
فَبهِ قُريشٌ قد علَتْ وَسَمَا لهَا شَرَفٌ وعِزٌ لا يُرامُ مَنِيعُ

وتتعالقُ نصُوصُه وتتداخلُ مع حديث آخر من أحاديث خَير الخلْق صلوَاتُ ربّي وسلامُه عليه فـي الحـديث المرويِّ عن أبي هريرة رضي الله عنه حين قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (لكُلِّ نَبِـيٍّ دَعْـوَةٌ يَـدْعُوهَا، فَأُرِيدُ أَنْ أُخبِّئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتي يَومَ الْقيامَةِ) (مسلم: 1/ 130)، يقول في شعره : (الجذامي، 2003: 197).

وَيُنَادِي يَا إِلهَي أُمَّتي رَبِّ فَانجزْ فيهمُ لي مَوْعِدِي

وبعد تتبّع البحث لبعض مواضع تناصّ ابن الصبّاغ الجُذامي مع الحديث النّبويّ الشّريف، رأى أنّه توغّـل فـي معاني النّصّ الشّريف توغّلاً عميقاً، واسترفَدَ من ثناياه، فكان تناصّ الشّاعر مع النّصّ الغائب علـى سـبيل التّـآلف والتّوافق، فكِلا النّصّين يؤكّد الأفكار الإنسانيّة الّتي تنطوي على المُساواة والمحبّة ، وحثّ النّاس على اتّباع هدي النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، والتّمسّكِ بالدّين الإسلاميّ الحنيف، والاعتصامِ بحبل الله المتين، وغير ذلك من الأمـور الّتـي استقاها الشّاعر من الأحاديث النّبويّة الشّريفة .

و ممّا سبق يتّضِحُ بجَلاء أنّ التّناصّ عندَه كَشَفَ عن قُدرته في استثمار النّصِّ الغائب وتوظيفِه، كما أنّه ليس صورةً منسوخةً مطابقةً منه تماماً، بل أعادَ الشّاعر تشكيلَهُ على وفق لغتهِ، وموقِفه الشّعريّ.

الخاتمة

يُستخلصُ ممّا سبق أنّ التّناصّ الدّينيّ حاضرٌ حُضوراً لافتاً في شعر ابن الصبّاغ الجُذاميّ، ومثّل جانباً مهمّاً في مسيرة الشّاعر الشّعريّة، فحاول البحثُ تقديم أبرز مَظاهر هذا التّناصّ وتجلّياته الإبداعيّة في شِعره.

إنّ براعةَ الجُذاميّ تجلّت في توظيف التّناصّ الدّينيّ، واستثمارِه في أشعارِه استثماراً موفّقاً، فتنوّعت مصادرُه الدّينية بين التّناصّ مع القرآن الكريم – وهو الغالبُ على شِعره – وبين استحضَار أحاديثِ رسولنا الكريم صلّى الله عليه وسلّم وسيرتِه، فتراهُ يرمي النّصّوص الغائبةَ في مُعترَك شِعره ليقوّي بها موقفَه، وهو ليسَ حاطبَ ليلٍ، بل واعٍ بما تتطلّبه الكلمةُ، فلا يختارُ من النّصّوص إلا أقواهَا وأقدَرها على إثبات ما يريدُه من هذا الاختْيار، لذا فالطّريق ليستْ سهلةً أمام الشّاعر وهو يستخدمُ التّناصّ، بل عليه أن يتوقّف كثيراً أمامَ نصِّه المناصَصِ لكَي لا تكون العمليّةُ عمليّةَ حشدٍ وتجميعٍ لنصوصٍ مختلفةٍ في فضاءٍ واحدٍ قد لا تنسجمُ فيه، فتكونُ النّتيجةُ خلافَ مصلحةِ النّصّ.

المصادر والمراجع

1- الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، صابر عبد الدايم، دار الشروق، القاهرة، 2002م، ط2.
2- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، ت: أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، دمشق ، ط1.
3- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي 1978م.
4- استدعاء الشخصيات التراثية في الشّعر العربي المعاصر، علي عشري زايد، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلام، طرابلس، ط1.
5- إضاءات نقدية، عبد الصاحب طهماسي، علي سليمي، السنة الثانية ، فصلية محكمة العدد السادس، 2012م.
6- أضواء على النقد الأدبي القديم، عبدالله جبريل مقداد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1997.
7- الاقتباس من القرآن الكريم، الثعالبي ، تحقيق: ابتسام الصفار ، ط1992/1م، دار الوفاء، المنصورة، مصر.
8- إنتاج الدلالة الأدبية، قراءة في الشّعر والقصص والمسرح ،صلاح فضل، هيئة قصور الثقافة، القاهرة، 1993م.
9- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط3، دار الجيل، بيروت.
10- البيان المحمدي، مصطفى الشكعة ، دار البيان العربي.
11- التناص سبيلاً ، شربل داغر، مجلة فصول ، عدد1، 1997م
12- التّناصّ نظرياً وتطبيقياً ،أحمد الزعبي، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2000م،
13- التّناصّ وجمالياته في الشّعر الجزائري المعاصر ،جمال مباركي ،إصدارات رابطة إبداع الثقافية، الجزائر، 2003م.

14- دراسات في أدب مصر الإسلامية، عوض الغباري، دار الثقافة العربية، القاهرة،2003م،ط1 .
15- دراسة في الأمثال النبوية و أثرها في الشّعر العربي، رضا علي، آفاق الحضارة الإسلامية، العـــدد الأول، **1432**.
16- ديوان ابن الصبّاغ الجذاميّ، تحقيق: نور الهدى الكتاني، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2003م.
17- ديوان امرئ القيس، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة، بيروت ، ط2 ،2004م .
18- ديوان علي بن أبي طالب، تحقيق: عبد العزيز كرم، المكتبة العلمية، ط1 ، 1988م.
19- ديوان عنترة، تحقيق : أمين سعد، المطبعة العربية ، مصر.
20- روائع البيان في الأمثال النبوية، محمود السيد حسن، المكتب الجامعي الحديث، 1988م.
21- سنن البيهقي، تحقيق: محمد عبدالباقي عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،ط3 ،2003.
22- سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ،مصر، ط2، 1395 هـــ - 1975 م.
23- الشاعر العربي والتراث – عبد الوهاب البياتي – مجلة فصول – المجلد الأول – العـــدد الرابـــع – يوليـــو 1981 م
24- صحيح البخاري، ط الأميرية، مصر،1314.
25- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
26- لسان العرب ، ابن منظور ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط3 ، 1999م.
27- مقالات في الأسلوبية ، منذر عياشي، دار نينوى للطباعة والنشر والتوزيع.
28- النّصّ القرآنيّ وآفاق الكتابة، أدونيس، دار الآداب، بيروت، بدون سنة أو طبعة.